

الأب جان عقيقي - نائب رئيس الجامعة للبحوث

بمناسبة "يوم سعيد عقل" - ١٩ تشرين الثاني ٢٠١٤

إنّه دينٌ على جامعة الروح القدس أن تُحيي يومَ سعيد عقل في حرمها وبين أروقتها، وفي وجدانها الذي يسهرُ على طيفِ ركنين كبيرين، من عندنا، سافرا باكراً، على أجنحة الروح، سابقين مبشرين، وقد تركا لسعيد الصديق الاهتمام بالربيع العربي الحقيقي الذي لا خريف له، ربيع الفكر واللغة والإبداع، كما لم تعرف له منطقتنا نظيراً منذ أجيال.

وفي الوفاء للكبار محنة أهلية الترفع والحديث عنهم، فنتركهم يتحاورون فيما بينهم علناً نذكرُ بفاصلة أو شاردة - واردة، أو ثلاث نقاط تملأها جعبه كل منّا بما تيسر من زادٍ فاض على مائدتهم.

فسعيد خصَّ الأب إسطفان صقر بقصيدة فرنسية رأى فيها موج فكره يُرصفُ كلاماً لا يقلُّ روعةً وإجلالاً عن هندسة عواميد بعلبك؛ إنَّها قيثاره تُدوّن فيها رفعة السماء لحناً يعلو ويهبط على وقع سيف الفيلسوف المذهب، تماماً كما شقَّت عزيمة صور جحافل نبوكدنصر.

وإذ سُئل عن الأب روفائيل مطر، الشاعر الناسك، صحَّح مُفتخراً: "قالوا: إنَّ شعري يمجدُه؛ قلتُ: لا، شعري به يتمجدُ".

إنّه دينٌ على جامعة الروح القدس أن تحفظ الوفاء وتقُدس "الهمسات" الإلهامية، تكرمها لذاتها، لاسمها، ولعمل الروح فيها؛ لعنصرة أشعلت اللهب في قلوب مؤسسيها وفي ضمائرهم. ولا زلنا نحملُ بفخرٍ، طلاباً وأساتذةً ومسؤولين، الاسم الذي اقترحه سعيد عقل. ومع الوفاء على العهد، عهد الصداقة والتعاون الفكري والروحي الأصيل، وإذ تجذُّ جامعة الروح القدس نفسها معنيّةً بسؤال الكبير في رندلي:

هنا، أو خيال خيال؟

أما لمروري ذكرى

تحيته:

على الهنا وصنّفو الببال

- لأنت السعيد في الذكرى

وتكملُ معه

وجوداً، وكانت ليالٍ^١.

لأجلي كان الوجودُ

بوجدٍ أشعل الخيال

- وقد ضحّت العواميدُ

^١ رندلي، على رخامة، (٢/ص ٥٧).

فيا حيًّا "ساكنًا ديوان الشعر"، حسبك الصفوة من كلام، جبل، "واصل بين الله والأرض"^٢؛ واترك مرقد
عزّة لسالكٍ لطفَ وهنه مُروّك المُثقل بالوسمي، فصاح: اغمري، أعيش! أجتاح الدهول! أذكُ أسواره، وألُونُ
خباياه، ساكبًا على الوجود فتى مُطيعًا كلمة الأمر كما في كأسٍ لخمير:

"سنربض على صدر الدهر. [...]. سننزل دومًا إلى ساحة الوجود أشياءً عظمى [...]."

"كلمة الأمر عندنا: "نأتي عجبًا أو نموت"^٣.

وعلى وقع أجراس الياسمين، يسعى فتى النخبة إلى التحول وتحقيق النبوءة

"أنت، إذا أنت ابتدعت صرت ما أنت وأبدع"^٤.

والعجبُ كالإبداع صيرورةً ماهيةً، جُلُّ ما فيها تجاوزتُها على المحدود الزمني: "فأجمل التاريخ كان غدًا"^٥ هذا ما
حفرتَه قريحة المثلهم على الأعمدة الدهرية التي خلّدت شعرًا وحبًّا غزلاً، فنًا وعلماً.

ومن سواك، في زمن الجذب، أيُّها العاقلُ السعيدُ، قادرٌ على الأعجوبة و"بيفشّ الخلق؟!".

بعقلانيّتك، بالنار المشرّبةً أبدًا في عينيك، بالعاصف اللاعب في شعرك، بالصدى المتردّد خلف هديرِك، بالبسمة
الثائرة على شفّتيك.

بجنونك، بنفزة سايحة على كفك؛ هي عبقريةٌ حلُم تتعلّق بجنينك، ببخاتك الطالعة من عميق العلى
الرابض بين رئتيك؛ بإيماء منك، هي جولاتٌ في بحور الشعر، وصولاتٌ على متون الفكر، وحكاياتُ جبل
تكحلُّ برُقتين،

هي لبنانيّتك الأعتق من الأرز وخلوده. هو شعرك المسكوبُ جُينًا بردونيًا مائجًا، ساجًا فوق الفوق
ليسبّح خالقه، شاكراً على قرنٍ ونيّف من الوعي المعطاء، وكأنّه رفة عين.

سعيدٌ أنت بعقلك، وسعيدٌ بحالتك، كبيرٌ أسكرتنا بخمرك، ومن غيرك تجرّ العقل جرًّا صوب
سعادتَه، وأسرَ الوعي بضمتين.

^٢ "أنا حسبي أنني من جبل هو بين الله والأرض كلام" كأس لخمير، (٤/ص ١٧).

"اسكّي ديوان الشعر أو أموت" كتاب الورد، (٥/ص ٨٥)

^٣ كأس لخمير، (٤/ص ١٣٦)

^٤ أجراس الياسمين، (٤/ص ٢٢٩)

^٥ كما الأعمدة، (٦/ص ٩٥).

^٦ شعر الحب! يكاد يكون وحده الشعر ثرى، أما آن أو ان الجهر بذلك؟ كأس لخمير، (٤/ص ٦٩)

والإنسان لا لشيء إلا ليعرف. ومنتهى المعرفة أن يبدع كما من عدم. (٤/ص ٧٣)

والحب، كما الإرادة التومائية، عقل...

مع سعيد تُثْرَى الكلمة، وتتقدّس على مذبح الكلمة؛ وعبارة، تلوّ عبارة، تَعْبُرُ بنا إلى الصرح الهيكلي، حيث الفكر أرضٌ، والشعر عواميدٌ، والمعاني، كلُّ المعاني تشقُّ منفذاً في سقف الهنا والآن لتحلّق في الحاضر الذي لم يأت بعد غمّزتين !

هذا ما تشدُّنا إلى نبش ذخائره الدفينة صلاتك الأخيرة يومَ سألتَ الربَّ متوسّلاً أن يُفرغَكَ من ذاتك وبملاكٍ به، فقلتُ، بعد نقطتين:

لفتةٌ لي منك تبني

فوق ما الليلُ حكي

فوق ما الحُبُّ شكا

ربِّ، أفرغني مِنِّي

أنا واملأني بكاً^٧

فالملء بالله حضورٌ في الأبد، فوق ما يُبنى ويُحكى ويُشتكى منه، إنَّه انسيابٌ على الفوق كانشراح العقل بخمرة الأزل، كومضة الحدس تشقُّ الحُجُب تُشعلُ الأمل.

هذا هو سعيد الذي ربّانا صغاراً، ونشأنا شباباً، وحملنا مسؤوليّة عمرٍ ووطن، تاريخٍ ومستقبل، وإن حكي، فليُعلِّمنا أصولَ الحكي، ومتى نقول "لا ونعم"، وإن تغزّل فليُسلِّكنا دربَ الحبِّ المبدع الذي يكشف لنا آليّة اختراع ذاتنا في المحبوب^٨.

ويلٌ شعري، ويل فنٌّ ليس غزلاً^٩.

وفي غزل سعيد عقل تزهّر الأرضُ، وتتفجّر ينابيع المعرفة، وتورفُ أغصانُ الخير على العشق ينمو ويجوب الكون، مصوّباً، منقياً ما شدّ وتاه في مادّيّة لعوبة رخيصة.

حملنا الربيع على راحتين، فَمِنَّا، ومن حُبِّنا، العنبرُ

وأعمارنا مُلتقى شفتين، نُميلُ بها الكونَ أو نُسكِرُ:

وهفوَ إلى الموت أشهى المني إذ لاح في قبلة يُشرُّ^{١٠}.

^٧ خماسيات (٧/ص. ٢٦٧)

^٨ "أنّ أحبّك هو أن أحتج نفسي"، كتاب الورد، (٥/ص. ٥٦)

^٩ كأس خمرة، (٤/ص. ٧٠)

^{١٠} رندلي (٢/ص. ٣٧)

ينتهي زمننا، أيُّها الأحباء، ولا نَشْبَعُ من كنوز هذه الجماليَّة الفريدة الَّتِي أشعَّت علينا من بعيد الجبل، جوفه
والسماء؛ مرَّ الكثيرون ورحلوا، وهي الباقية تدلُّ على عمل الله؛ ومهما توغَّلنا أو حلَّقنا، فالمسافة بيننا والهدف لا
تزال في اتساع ف... .

"والخالدون هم البدَّاع، من بَعُدوا، حتَّى إذا لحقت دنيا بهم بَعُدوا"^{١١}

على مشارف هذا الأفق السحيق الغور، يعلو صوتٌ واثقٌ حنون يشفع بأبناء الدنيا وقد جمَّعت في لبنان، فيصليّ
الشاعر، منذ شهرٍ تقريباً، مُغالِباً وهنَّ الجسد مُخاطباً:

يا باعداً بَعَدَ النُّهى، هزِهز بلادي كُلِّها !

فإن شعرتم بالزلزلة الفكرية أو اجتاحتكم القشعريرة الغزلية، وطيرتكم عاصفة أنوار دهرية، تكونون في تواصل مباشر
مع سعيد عقل.

في الحتام، ومع انحناء إجلال وإكرام للكبير الَّذِي يكرِّمنا باقترابنا منه واغترافنا من بثره العميقة، لا يسعني إلاّ
التقدُّم بالشكر من الأساتذة الكرام الَّذين يساهمون في إحياء نهار سعيد عقل في الكسليك، بخاصَّة كليات
الفلسفة والعلوم الإنسانيَّة، الآداب، الفنون الجميلة، والموسيقى، والجامعة اللبنانيَّة وجامعة هايدلبرغ. شكري للفريق
المساعد والمنظَّم في مركز البحوث؛ لمكتب الإعلام والنشاطات، التابع لأمانة سرِّ الجامعة. الشكر لجامعة الروح
القدس في الكسليك، بشخص رئيسها ومجلسها الأكاديميِّ والإداريِّ. شكري للحضور المميِّز من تلامذة وأساتذة
وأصدقاء.

ونقول مع سعيد عقل:

لم نوَدِّع ما بات في الصدر حبًّا، حيثما الحبُّ كان، لبنان كانا^{١٢}.

هنا تحت كلِّ ترابته

هنا الله شرَّع بابَه

هنا جبلٌ لا الأساطيرُ أشهى

أحايين يُغري سهولَه

أحايين يلعبُ يُغري البُطولَه

سعيد عقل، شكراً لك...

^{١١} كما الأعمدة، (٦/ص. ١٢٤)

^{١٢} قدموس، (١/ص. ٢٠٦)

^{١٣} لبنان إن حكى، (٣/فاتحة ص. ٧)